# البحرية الجزائرية عبر التاريخ : من القرن 14 إلى القرن 19 ميلادي

**أ.د. علي تابليت**

قسم الترجمة– جامعة الجزائر

**ملخص**

بداية من 1505 وإسبانيا تستولي على مدن ساحلية جزائرية: المرسى الكبير، 1515، وهران، 1509، وبجاية 1510، وشرشال، ودلس، وتنس والعاصمة. أمام هذا الاحتلال المتواصل طلبت الجزائر مساعدة من الإخوة عروج بربروس، وبرغم وقف الهجمات الإسبانية فإن الجزائر شكلت قوة بحرية وقامت بدورها بغارات على البلدان الأوروبية كرد فعل، بل قامت بحملات تأديبية، بفضل أسطولها البحري والدفاع عن مياهها الإقليمية.

**الكلمات الدالة** : البحرية الجزائرية، الأسر، الأسير، فدية، قرصانة، سفينة، قبطان والبحر.

**Résumé**

L'Espagne occupe, depuis le début de 1505 des villes côtières algériennes, parmi lesquelles: MERS-El-Kebir (1505), Oran (1509), Bejaia (1510), Cherchelle, Delys, Tenés et la capitale. Face à celle occupation, l'Algérie demande de l'aide aux frères Aroudj en dépit de la cessation des attaques espagnoles, l'Algérie se donne flotte maritime et mène, à son tour comme réaction, des raids sur les pays européens, Elle entreprend même des expéditions punitives grâce à sa flotte et assuré ainsi la défense des ses eaux territoriales.

**Mots clés** : la marine algérienne, captivité, captif, une rançon, corsaires, vaisseau, capitaine.

**Abstract**

coastal towns as in face of these conguered many possession's Algiers asked barbarous brothers their assistance against Spain in spite of the Spanish attacks, Algeria constituted strong navy and played its role as attack on European countries as reaction, rather, punitive expeditions, grace to its maritime navy and defence for its territorial frontiers

**Keywords** : the Algerian marine, captivity, captive, ransom, corsair, ship, captain.

## الجزائريون والبحر

لم يحظ موضوع تاريخ علاقة الجزائريين بالبحر بالاهتمام اللازم بسبب قلة المصادر والمراجع وندرة المتخصصين فيه. ولاشك في أن لهذه العوامل دورا في هذا التهميش،

إلا أنها لا تكفي لتبرير غياب البحر وأمور البحر في المخيلة الجزائرية، بالرغم من توفر البلاد على مساحة واسعة من السواحل.هل حقا ولى الجزائريون ظهرهم للبحر؟ وهل يعتمد دعاة هذا الطرح على دلائل أو أن لمواقفهم خافيات لا علاقة لها بالواقع ؟

لقد شكل الاقتصاد البحري المحرك الأساسي للنمو في أوربا ما بين القرنين الخامس والتاسع عشر. واهتمت الدول الأوربية خلال هذه الفترة بالقطاع البحري بشقيه الأساسيين : البحرية العسكرية والبحرية التجارية. واختارت الدول الموجودة في القارة الأوربية، فرنسا–أسبانيا، تدخل الدولة وتوجيهها للصناعة البحرية. فأنشأت ورشات كبيرة لصناعة السفن. واهتمت الدراسات الأوربية في تناولها لموضوع البحر بتحالف الملكية مع الطبقة التجارية، ورأت من جهة ثانية في نمو هذا القطاع وتقدمه تحالف الأشرعة مع المدافع. وبمعنى آخر، لا يمكن فصل الاختراعات المرتبطة بالأساطيل البحرية عن الابتكارات الحاصلة في التقنيات الحربية. فالحروب تتطلب الفعالية والسرعة في إلانجاز. ولأجل هذا السبب، دعمت الدول وشجعت البحث في تقنيات البحرية. واعتمدت في تحقيقها لذلك على الخبرة والممارسات الموروثة.

فإذا كانت الحروب قد تبنت الفعالية، فإن التجار في أوربا كانوا مهتمين أساسا بالربح. ولأجل هذا، أولوا المواصلات البحرية أهمية كبرى، لأنهم فهموا أن السيطرة على الطرق التجارية البحرية تعني السيطرة على التجارة العالمية.

كانت الجزائر صلة وصل بين البلدان البربرية وأوربا والولايات المتحدة الأمريكية وبرغم ذلك فإن هذه البلدان خصصت حيزا هاما من كتاباتها عن ظاهرة القرصنة الجزائرية، وجعلتها أساس أنشطة البلاد البحرية، وحملت الجزائريين مسئوولية التوتر الذي ساد العلاقات الجزائرية–الأوربية والأمريكية خلال نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عش، ألا يحمل هذا الطرح في طياته إلارادة الواضحة والهادفة إلى تهميش مساهمة الجزائر والجزائريين في أمور البحر؟ ألا يريد دعاة هذه الفرضية تغييب قضايا ذات أبعاد أهم من القرصنة ؟ لقد دعمت كتابات استعمارية الفكرة القائلة بضرورة ربط اللصوصية والنهب بالجزائريين، واستعملت هذه الفرضية لتبرير كل التحركات الأوربية ضد الجزائر والجزائريين، واعتبرتهم خارجين عن القانون. والملاحظ أن الأسطول الجزائري كان يسترعي اهتمام القناصل المبعوثين الذين كانوا يعملون على رصد تقارير عن عدد سفنه وعدد المدافع التي تتوفر عليها

المراكب،وكانوا يذكرون أسماء قواد هذا الأسطول. فقد وجدت في دار المحفوظات الأمريكية والبريطانية تقارير تذكر بالتفاصيل أنواع السفن الموجودة في كل ميناء من موانئ الجزائر، دون أن ينسى عدد المدافع وعدد البحارة.

**سادة البحر ألابيض المتوسط**

تقع الدول المغاربية التي تتألف من المغرب، والجزائر، وتونس، وطرابلس، في إفريقيا الشمالية وتمتد على مسافة تزيد على ألفي ميل. وتقع على طول البحر المتوسط، وعلى مقربة من أوربا، وتتربع على موقع جغرافي رائع فيما يتعلق بالمطاردات البحرية وأحسن موقع لهذه الدول، موقع دولة المغرب التي ليس لها منفذ واحد فقط مع المتوسط وأوربا، بل المحيط الأطلسي ومضيق جبل طارق.

(Allen, Gardner, 1905, p.1; Paullin,Charles,1912, p.43; Morris, p.5-6).

وإذا اتجهنا شرق المضيق، فإننا نجد مسافة تغطي ألف ميل، ونلاحظ أن ساحل هذه البلدان شديد التحدر، ووراء هذا التحدر يمتد الحيد البحري كثيرا نحو البحر. مما يجعل ذلك يمثل صعوبات للملاحة، إضافة إلى التيارات المائية والعواصف الهوجاء في الأطلسي، خاصة أثناء شهور الخريف، والشتاء والربيع(Jackson, p.1-2.)، رغم أن المناخ معتدل على طول الساحل والحرارة شديدة إلى حد ما في بعض الأوقات، والتي تسبب في حدوث زيارات الوباء.

أما في داخل هذه البلدان، فهناك فضاء واسع من الصحراء وسلسلة جبال عالية،وباقتران هذه المعالم، في شواطئ وجبال وصحاري وبحيرات تتشكل الأرض المغاربية وتجعلها أرض التغاير الطبيعي.

(Burr., 1886, p.121; Russell, p.253-55; Greenhow, p.9-10; C. Prentiss, p.89).

فسكان هذه المنطقة خلال القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي تتركز عليها هذه الدراسة، كان ذاصفة متغايرة العناصر، فهم يتشكلون أساسا من العرب، والبربر، والمور، والأتراك واليهود، ومع عدد ضئيل من الأوربيين الذين استقروا هنا لأغراض تجارية، فالأتراك الذين كان عددهم قليل، كانوا أكثر قوة سياسيا من أي مجموعة أخرى رغم ضعف سلطتهم خلال هذا القرن في بعض الدول.

(Despatches, Jan. 10, 1801 et Jan.28, 1804.).

فالمور يشكلون أكبر عنصر، وقد ازداد عددهم بعد سقوط غرناطة سنة 1492 وبعملية طرد أخرى حدثت سنة 1609. فعدد هذه الجماعة على طول المدة كان أكبر عدد في البلدان المغاربية، وقد رفضوا المشاركة في شؤون الدولة، لكنهم تعاطوا التجارة بشكل واسع، وكان لهم تقدير واحترام، ومع ذلك فقد تفوق عليهم اليهود في التجارة، والذين كانوا يعاملون دائما بازدراء، ويجبرون على المعاناة الشديدة في أوقات ما، وبرغم ذلك فهم يمارسون نفوذا اقتصاديا وسياسيا هاما.

(B., 1886, March 18, 1796; Letters from Barbary,p.96-97; Allen, p.2.).

فالتقديرات التقريبية لعدد السكان في البلدان المغاربية، يصعب حصرها إلا عن طريق حدسي. فحسب ضابط انجليزي الذي عمل في المغرب عند نهاية القرن 18، يذكر أن عدد سكان المملكة لا يزيد عن مليونين آنذاك.

أما جويل بارلو Joël Barlow، قنصل الولايات المتحدة في الجزائر عام 1796، فإنه بعث برسالة إلى كاتب الدولة للخارجية يشير فيها إلى عدد سكان الجزائر بين إثنين وثلاثة ملايين نسمة.وقال أن سكان تونس يفوق عددهم عن عاصمة الجزائر،وأن سكان طرابلس أقل عددا[1].

ويتصف نظام الحكم في البلدان المغاربية بالسلطة الفردية، إذ يحكم الدايات والسلاطين، والبايات والباشوات بطريقة استبدادية، رغم أن الاستبدادية اتسمت في وقت ما بالاغتيالات والثورات. فبالنسبة للجزائر التي اعتبرت من الدول القرصانية الأكثر رعبا، فإن حكامها كان يختارهم الخليفة العثماني من منتصف القرن السادس عشر إلى 1671.

(Greenhow, p.8-9; Todd, p.121-122; Shaler, 1826, p.15.)

وبعد هذا التاريخ استقرت حامية عسكرية تركية في الجزائر، وسمح لها باختيار قائدها، وما على السلطان إلا أن يبقى هذه السلطة أو يرفض اختيار العساكر فقط. ولم يظهر أن السلطان اختار الحل الأخير لأنه من البين أن طلب التأكيد ترافقه هدايا سخية وقارة(Todd, p.122.). وعندما تغيرت السياسة السابقة الخاصة باختيار داي، فإن الجنود الأتراك اعتبروا أنهم قد قدموا صوتا مساويا نظريا، لكن موقفهم تجاه مرشح

[1] The Diplomatic Correspondence of the United States, III, John Lamb to Jefferson, May 20, 1786. (hereafter referred to as U.S.Dipl. Corr.), p.350.

لمنصب الداي يتأثر إلى حد كبير بالضباط المشهورين، إذ هناك حوالي 40 منهم من يعمل في ديوان الداي أو المجلس.

وفي غضون ذلك، ينال الداي مثل هذه الهيمنة وتتضاءل سلطات المجلس إلى نقطة التلاشي.وفي سنة 1796، كتب جويل بارلو، القنصل الأمريكي بالجزائر، يقول أن الحكومة الجزائرية أصبحت مجرد مملكة، فالديوان لم يجتمع منذ سنوات، ولا يخضع الداي لأي رقابة ماعدا تلك الرقابة الناجمة عن توزيع الهدايا الأجنبية وأحيانا من أمواله الخاصة، على كبار الضباط بحماية نفسه من الاغتيال، والتمرد.
(Shaler, p. 17, Despatches, March 18, 1796)

ويعتمد الداي في حماية نفسه على جماعة من الأتراك يقدر عددهم في حدود 12.000 تركي، هم من أصل آسيوي ومن اللوماء الذين لهم سوابق عدلية. وقد كان بمقدور جميعهم أن يصلوا إلى أعلى المناصب في الجزائر.[2]

في سنة 1786، كتب جون لامب John Lamb، المبعوث الأمريكي الأول إلى الجزائر إلى جيفرسون Jefferson Thomas «أن الأسطول الجزائري يتألف آنذاك، من تسعة قرصانية (سفينة ثلاثية الصواري) وعشرة سفن شراعية كبيرة ذات مجاذيف من 36 إلى 8 مدافع، وأكبر هذه السفن تحمل 400 شخص، وهلم جرا من حيث التناسب[3]»

وبعد سنتين، كتب ضابط انجليزي، كان موظفا دبلوماسيا في المغرب، يقول أن المغرب « يملك الآن حوالي 20 سفينة، وأكبر هذه السفن تحمل 20 مدفعا»[4]

فهذا التماثل، يجب أن يلاحظ على أنه يثير قلقا حول الوضع الحقيقي للأسطول الإمبراطوري، ومن ثم يقترح أنه على الحكومة البريطانية أن تقدم له الدعم (الإمبراطور أو السلطان) ليضاعف من قواته.

وكان الأسطول التونسي مع نهاية الثورة الأمريكية سنة 1799، يشكل قوة لا بأس بها، وقد أورد ويليام إيتون William Eaton، الذي كان قنصلا لأمريكا في تلك الإيالة، أن قوات الأسطول البحري التونسي تتكون آنذاك من 49 سفينة وعلى متنها 928 مدفعا،

[2] for Barbary States with Great Britain see Hertslet, Collection of Treaties and Conventions, I, 58-178.
[3] Letters from Barbary, p. 98.
[4] Ibid., p.120.

و88 مرودا ( الوصلة المتراوحة مثل الكرسي الدوار)، وتحمل جميع هذه السفن ما يفوق ثمانية ألف شخص(Prentiss, p.98.).

وقد علم إيتون، من القنصل السويدي، قبيل أن يكتب إلى كاتب الدولة للخارجية أن تونس لا تستطيع أن ترسل أكثر من تسع سفن إلى البحر قبل عشرين سنة مضت (Greenhowp.13).

أما باشا طرابلس، فقد استطاع أن يجمع قوة بحرية لا تتعدى 11 سفينة عام 1800، وعلى متنها مائة مدفع.

(U.S. Dipl.Corr., III, p.86, Lamb to Jefferson, May 20, 1786; Russell, p.404-18.)

يبدو أن تجارة البلدان المغاربية قد عرفت انتشارا واسعا،بالرغم من نتيجة الحروب العديدة، وقد تم نقل هذه التجارة والخيول تقريبا وعلى وجه الحصر في سفن أجنبية. وأهم هذه الصادرات، هي: الصوف، والأنعام، وجلود الحيوانات، والجلد المدبوغ، والملح، والصوديوم، وريش النعام، والقمح، والشعير، والفاصوليا، والعاج، والزيت، والفواكه الجافة، والشمع، والسجاد، والأحزمة. وتشمل الواردات في معظمها الأقمشة والملابس، والسكر، والشاي، والبن والتوابل والحديد والخردوات من كل صنف، وأنواع أخرى من العتاد البحري والحربي. يشارك حكام هذه البلدان في التجارة بشكل واسع ولحسا بهم الخاص. يمنحون الاحتكار لشركات أجنبية لاعتبارات عديدة، ومن ثم يجبر مواطنو هؤلاء الحكام على بيع مواد محددة لهذه الشركات بسعر قار.

ففي تونس، مثلا، احتكرت شركة يهودية هامة تتمثل في جلود الحيوانات والشمع وتدفع هذه الشركة أكثر من 17 ألف دولار للباي سنويا لاحتكارها شراء هذه السلع.وبهذا التنظيم قدرت مشتريات الشركة سنويا، وبسعر11 سنت من الدولار 250.000 من جلود الحيوانات (Morris, p.89.).

ولم تكن التجارة السلمية، هي مصدر الدخل الوحيد لرؤساء هذه الدول، بل اعتمدوا على ما تدره عليهم القرصنة، وكذلك نظامهم السياسي والجباية المفروضة على المواطنين. فهم يطوفون في البحار لاصطياد الغنائم وإجبار الدول على إبرام معاهدات معهم (Letters from Barbary, p. 153).

فهذا ضابط بريطاني، في مهمة دبلوماسية إلى المغرب عام 1788، يذكر أن سلطان المغرب أصبح غير شعبي لإبرامه عدد من المعاهدات مع الدول المسيحية، لأن ذلك يقف السلب والنهب على سفن الأعداء (Lane-Poole, p. 270). وورد أنه جرى نقاش في مناسبة ما بديوان الجزائر، وتقرر على من تعلن الحرب من أجل سد النقص في الخزينة.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، أعلن الداي أنه من أجل الحفاظ على رأسه قرر أن يسمح لقرصانه بالعمل الدائم في القرصنة (Cathcart, p.164) [5] وبكلمة واحدة، فإن سياسة الحكومات المغربية كانت تعني أن إقامة سلم مع بلد يعادله تقريبا إعلان حرب على بلد آخر.[6]

فالحكام المغاربة كانوا يرسلون قراصنتهم على امتداد البحر المتوسط، وحتى المسافات البعيدة، المحيط الأطلسي، مثلا، للبحث عن سفن تعود للبلدان التي هي في حرب مع البلدان المغربية (Allen, p. 6.).

ولم يقتصر الأمر على أعالي البحار، بل عرفت جزر البحر المتوسط والجماعات الساحلية غارات، وألقى القبض على مئات من الرجال والنساء، والأطفال قصد فديتهم.[7]

وبناء عليه، فإن القرصنة ليست حركة فقط بمصادرة السفن والحمولة، وسلع أخرى، بل إنها توفر دخلا جد هام عن طريق الأسرى. فيفقد عدد من هؤلاء الأشخاص حريتهم بهذه الطريقة ويتعرضون لمعاناة ويوجه معظمهم إلى الأعمال اليدوية الشاقة، خاصة أولئك الذين لهم دراية ببناء حواجز لوقاية المرفأ أو الشاطئ من عزل الأمواج، وهو ما يعرف بسائل الأمواج وإصلاح السفن، ونقل الحمولة من مكان لآخر. ويثقلون بالأغلال، ويزودون بكمية ضئيلة من الطعام، ويقيمون في السجون حيث يبتالون

---

[5] بكاثكارت كان سجينا أكثر من عشر سنوات بالجزائر، يذكر أنه نادرا ما يحدث أن توقع الجزائر سلما مع دولة أوربية ما إلا وتطرد قنصل آخر دليل على إعلان الحرب على دولته.

[6] Despatches of Algiers, III, R. O'Brien to Jefferson, June 8, 1786.

من عادة الجزائريين أن يقوموا بثلاث خرجات سنويا، بين أفريل ونوفمبر.

[7] J. W. Stephens, Historical and Geographical Account of Algiers, pp. 71-77; John Foss, Journal of the Captivity and Sufferings of John Foss, pp. 28 ff; J. Barlow, the Columbiad (London, 1809) pp. 259-60.

بالحشرات الضارة والأمراض، وفي ظل هذه الظروف كان يعيش حولي 600 أسير في سجون الجزائر عام 1793[8].(Lane-Poole, pp.283 ff.)

نعم، كان يسمح للبعض من الأسرى بحرية التنقل خارج السجون، تمنح لهم فرص التوظيف والقيام بالتجارة داخل السجن وخارجه، وهذا مثال على ذلك، جيمس ليندر كاثكارت James Leander Cathcart أمريكي الجنسية، ألقي عليه القبض في عام 1785،وكان نصيبه العمل في قصر الداي، وقبل إطلاق سراحه عام 1796، أصبح موظفا مسيحيا للداي. وله حانة داخل السجن، استطاع أن يشتري بها سفينة تجارية يقوم بتأجيرها وهو أسير، ولكن هذه حالة شاذة.

(Paullin, p. 44 ; Todd, op.cit, 121-122; Despatches, 1795.)

وغالبا ما يتم إطلاق سراح الأسرى مقابل مبالغ مالية ينفقها الطرفان، أما بالقوة فلم يحصل إلا نادرا في حالة أسرى سردانيا ونابولي في الجزائر عام 1816.

( Despatshes, 1786. Jefferson Papers, 1786.)

فالافتداء كان موضوعا هاما عبر العصور وحافظت عليه جمعيات دينية مثل جمعية Order of the Trinity and Redemption of Captives (أخوية الثالوث المقدس وافتداء الأسرى) التي كان مقرها بباريس ولها فروع في البلدان المغربية وعرف أعضاء هذه الرهبنة باسم «الماثوريين Mathurins» بالإنجليزية. وهم من كنيسة «القديس ماثورين Church of St. Mathurins» وسخروا طاقاتهم لضمان توفير المال لفدية الأسرى.وهي جمعية اسبانية، تأسست في 1213، من قبل St.Peter Nolasco باسم Trinitarians وقد تم تأسيسها رسميا في 17 ديسمبر 1198. وتضم كل كنيسة 7 أخوة، ويكون أحدهما مسئولا، ومداخل هذه الجمعية تقسم إلى ثلاثة أصناف، واحد للكهنة، والثاني لمساعدة الفقراء، والثالث والأخير لفدية الأسرى.قدر عدد الأسرى الذين تمت فديتهم من قبل هذه الجمعية خلال ثلاثة قرون 90.000 ألف أسير، خاصة من الجزائر، وتونس، والمغرب وطرابلس، الغرب.

[8] قام الانجليز والفرنسيون والهولنديون بفدية العديد من أسراهم عنوة خلال القرن السابع عشر، غير أنه من تلك الفترة إلى سنة 1775، فإن أغلب الهجمات التي وقعت ضد الجزائر عرفت فشلا كبيرا.من ذلك الحملة الاسبانية، 1775، وكذا حملة 1784، التي شاركت فيها اسبانيا، والبرتغال، ونابولي ومالطة، لسوء التجهيز والتسيير وقوة الجزائر في النهاية.

كما يتم إطلاق سراح الأسرى عن طريق ما تدفعه الحكومات لمواطنيها أو رعاياها الذين وقعوا في الأسر، ويقوم الأفراد بتضحيات مالية لضمان تحرير صديق أو قريب لهم (U.S. Dipl. Corr., II, p. 282.). بالإضافة إلى المداخل المحصلة من السلب ومن الفدية، تقوم الحكومات المغاربية بابتزاز مبالغ مالية ضخمة من الدول الأوربية تدفعها الأخيرة هروبا من الهجمات مستقبلا. فمبلغ معاهدة أو هدنة جد مرتفع، وبخاصة الدول الضعيفة، ويشمل ذلك الأموال بالعتاد، خاصة منه العتاد البحري والعسكري. وتدفع الجزية سنويا، أو من الأفضل في فترات فاصلة، ويتوقع كل فنصل جديد أن يحضر معه هدايا من الحكومة التي يمثلها، ويبدو أن الحكام المغاربة يصرون على تغيير القناصل في فترات قصيرة(Despatches, 1802.).

فالنوع الصحيح من هذه الضرائب المتنوعة يمكن مشاهدته أكثر بأمثلة توضيحية مستنتجة من تاريخ القرنين الثامن وبداية التاسع عشر(Macpherson D., pp. 370-71. Date , 1763.). إذ كتب أحد الأسرى الأمريكيين في سنة 1786 إلى توماس جيفرسون ما يلي : «أن الإنجليز، والفرنسين، والهولندين، والدانماركين والسويدين» ويمكن أن أقول كل الأمم تدفع لهم الجزية (أي الجزائريون)[9].

وفي نفس الوقت تقريبا، أشار أمريكي في الجزائر أنه برغم تباهي انجلترا بحصولها على أفضل معاهدة مع الجزائريين أكثر من أي دولة أخرى، فإنه مع ذلك، دفعت للجزائر هدايا تفوق قيمتها 28 ألف جنيه استرليني سنة 1759[10].

وفي سنة 1783، كتب جون آدامس أن الدوق الهولندي المتقاعد أخبره أن: «الجمهورية تدفع للجزائر سنويا مائة ألف دولار»[11]. وقال أن : «المبلغ الكبير المقترح دفعه من أسبانيا للجزائر مقابل سلم في عام 1785. ترك جيفرسون وآدمس يشكان قليلا في الاستجابة للمطالب الجزائرية»[12]

وقيل أن اسبانيا حافظت على سلامها مع الجزائر بين 1785–1790 مقابل مبالغ باهظة بلغت أربعة ملايين ونصف المليون من الدولارات. وفي سنة 1802 إشترط الجزائريون على الأسبان الشروط التالية مقابل السلم معهم :

[9] fU. S. Dipl.Corr., II, p. 299 f. Fifth report of U. S. Treaty Commissioners to Congress, April 13, 1785.
[10] Ibid., II; pp. 383-84. List for 1784, sent Wm. Carmicheal by Florida Blanca.
[11] Letters from Barbary, p. 258.
[12] Ibid.

1– أن يدفعوا 60 ألف دولار مباشرة للداي.

2– أن يرسلوا مع كل قنصل جديد هدايا بقيمة 42 ألف دولار.

3– أن يتخلوا عن مطالبهم باستعادة السفن الثلاث مع حمولتها.

4– أن يقدموا الوزراء الداي ومجلس المديرين 30 ألف دولار(Lane-Poole, p. 257.).

أما حكام البندقية فقد وافقوا في مناسبة واحدة على دفع 50 ألف دوكة (عملة ذهبية) وخمسة آلاف دوكة كل سنة بعد ذلك مقابل حصولهم على امتياز لخمسة عشر سفينة تجارية تتاجر على طول المتوسط (Lane-Poole, p. 258).

وبرغم أن المغرب يأتي في الرتبة الثانية بين الدول المغربية، فإنه يتلقى في مناسبات ما هدايا من فرنسا وبريطانيا لا تتعدى قيمتها خمسة عشر ألف جنيه(Lane-Poole, p. 257.). كما تدفع الحكومة الأسبانية للمغرب بسخاء مبالغ مالية(Lane-Poole, p. 257.)، ويدفع الهولنديون بطريقة مماثلة. (Lane-Poole, p. 257.)

وفي سنة 1788، كتب أحد الضباط إلانجليز في المغرب يقول : «أننا كلنا ندفع الجزية لسلطان المغرب»[13] كما تدفع الحكومات الأوربية مبالغ ضخمة إلى تونس وطرابلس، إذ وافقت النمسا في عام 1784،أن تدفع للباي جزية سنوية (Lane-Poole, p. 257.).

كما وافقت البندقية عند نهاية الحرب بين البلدين والتي استمرت من 1784إلى 1792، أن تدفع له 40 ألف سكوين وهدايا ثمينة(Lane-Poole, p. 258). وفي نفس الفترة قامت اسبانيا بدفع جزية كبيرة إلى تونس مقابل سلم[14] ولا نستثنى هولندة، والسويد والدنمارك وقوى أخرى التي كانت تدفع الجزية للباي

(Sir Robert L. Playfair, Scourge of Christendom, pp. 206-12).

وفي سنة 1800، تحصلت طرابلس وهي الأصغر في البلدان المغربية، قوة في هذه الفترة، على وعد من السويد بدفع 240 ألف دولار مقابل سلم وفدية 131 أسير، بالإضافة إلى دفع مبلغ سنوي قيمته عشرون ألف دولار للباشا[15] (A. M. Broadley, p. 82.)،

---

[13] U.S. Dipl. Corr., II, p. 282, Report of U.S. Treaty Commissioners to John Jay, March 18, 1785.

[14] Letters from Barbary, p. 8.

[15] في سنة 1795، قام الانجليز بإغراق سفينة جزائرية فاستدعى الداي القنصل البريطاني وهدده بقطع رأسه إذا تكررت العملية.

وتدفع البندقية ثلاثة آلاف وخمسمائة سكوين لطرابلس. ومن هنا توصل جون آدامس إلى مقارنة قوة ضعف الدول المغربية حسب ما تتلقاه من جزية وهدايا سنوية مقابل سلام معها(Greenhow, p. 10) [16].

لازالت الدول المغربية تثقل الدول الأوربية بإهانات أخرى،إذ طلب من القناصل الأوربيين المعتمدين في تونس تحت قضيب خشبي عند دخول حضرة الباي[17].

وكلف امتناع القنصل الفرنسي تقبيل يد الداي حياته، ورفض المبعوث الإنجليزي في سنة 1762 طلب الباي بالقيام بمثل هذا العمل بادئ الأمر، لكنه وقع حل وسط تم بموجبه تنفيذ أمر الباي[18]. كما كان الموظفون الإنجليز في المغرب يرفضون تقبيل يد السلطان ويتعرضون إلى طرد من البلاط المغربي. (Lane-Poole., p. 256.)

وفي سنة 1767، رفض القنصل الإنجليزي Fraser أن ينزع أحذيته وسيفه وتقبيل يدي الداي، وبالتالي قام الداي بإبعاد الإنجليزي العنيد إلى وطنه بسبب السلوك الوقح. عاد Fraser وقدم طلبا لإرجاعه إلى مركزه السابق، لكن الداي لم يستقبله. وفي العام المقبل عين الملك قنصلا جديدا وكلفه أن يتصرف تصرفا مقبولا لدى الداي.

وخصص للقنصل السابق مكافأة سنوية بقيمة ستمائة جنيه في السنة، من الحكومة البريطانية[19]. وكثيرا ما تعرض موظفو القنصليات ورعاياهم إلى الزج بهم في السجون بسبب فشل حكوماتهم في الوفاء بالتزام حقيقي أو وهمي وتبعا لذلك يتعرض الأوربيون المقيمون في البلدان المغربية إلى وضعية جد خطرة.[20]

---

[16] احتفظ البريطانيون والفرنسيون بقوات بحرية كبيرة في المتوسط لحماية تجارتهم وشجعوا القرصنة ضدمنافسيهم تجاريا

[17] Extract from a « Poem on the Happiness of America ," by David Humphreys. Quoted in a Short History of Algiers (3d.ed., N. Y., 1805), p. 99.

[18] U.S. Dipl. Corr., II, p. 166, Adams to Jay, April 13, 1785.

[19] Letters from Barbary, p. 103.

[20] F. Wharton ,The Revolutionary Diplomatic Correspondence of the United States. 6 vols. Washington , D.C.: U. S. Government Printing Office, 1889, VI, Salva to Franklin (Algiers) April 1, 1783:" the politics of certain European powers do not restrain them from paying tribute to enjoy peace, they make use of these human harpies as a terror to the belligerent nations, whose commerce they chain to the car of Algerine piracy."(Hereafter referred to as Rev. Dipl. Corr. U. S.)

إنه من المعقول جدا الافتراض أن تنظيم سفن النهب، والآلام التي يتعرض لها آلاف من الأسرى في البلدان المغربية، وابتزاز المبالغ المالية الضخمة، أو ما يعادلها، وإلاهانات الموجهة لموظفي الحكومات، يفترض في كل هذا أو ذاك من الدول الأوربية أن تنظم نفسها وتتعاون فيما بينها للقضاء على هذه الظواهر في البحار.

ولكن ربما نجد جوابا عند هذه الدول التي لها مشاكلها في الداخل، بل البعض منها يساند ويدعم الدول المغاربية ويحثها على القيام بالقرصنة نظرا لاختلاف المصالح والمنافسة. ولكن يبقى السؤال، لماذا لم تكن هناك سياسة واحدة لمواجهة سياسة البلدان المغربية في عمليات القرصنة؟.( .Despatches, Algiers, I1796)

وإلاجابة على ذلك، قام دافيد همفريز David Humphreys، بتأليف ديوان شعر في هذا المجال.

(Despatches, Algiers, I, J. Barlow to Sec. of State, April 18, 1796).

ومن أجل تفسير مثل هذا الخنوع تقدم جون آدامس بأسباب عديدة وأوعزها إلى[21]:

استرقاق الأسرى.(..Cathcart, Tripoli, p. 137) وانشغال الدول الأوربية في الشرق الأدنى، وفي أمريكا، وفي الحروب داخل أوطانهم، وفضلا عن ذلك فهم يفضلون الجبن، والخوف الناجم عن اعتقادهم أن دول شمال إفريقيا تمتلك مصادر ضخمة وشجاعة لا يمكن قهرها»( .Despatches, Algiers, III, 1787)

ولكن من بين أهم الأسباب المقدمة سابقا هي رغبة كل حكومة أن تؤمن المصالح الاقتصادية والسياسية على حساب منافسيها بشكل أحادي. (B. H. Sheffield, p. 115

وكان من نتيجة بقاء الدول المغربية على سياستها السلمية مع الدول الأوربية الصغيرة أو الضعيفة، وذلك في إطار السلام الأوربي العام، أن انتشرت تجارة واسعة في المتوسطة في أيدي الدول المحايدة القليلة (.J. Sparks, p. 149, Franklin 1783)

وذلك عندما كانت فرنسا وبريطانيا ودول تجارية أخرى في حروب فيما بينها، وتزايد حجم ورسم الشحن المنقول من طرف الدول المحايدة.

[21] يذكر بارلو أنه أشار فقط إلى تجارة السويد والدنمارك باعتبارهما بعيدتان عن البحر المتوسط، مثل الولايات المتحدة، ومع ذلك يقومان بدفع نفس المبلغ مقابل حماية تجارتهما من الجزائر.

وقدرت عائدات الشحن السويدي من البحر المتوسط باثني عشر ألف دولار سنويا عندما تكون حرب صغيرة أو لا تكون في أوربا، ويحصل الدنماركيون على مبلغ أكثر من هذا.وقد تضاعفت هذه العمليات خلال الصراع الكبير عند اقتراب نهاية القرن 18.(G. L. Beer, p. 123)

وفي هذا إلاطار التجاري يقول جيمس ليندر كاثكارت، القنصل الأمريكي بطرابلس، والذي كان أسيرا في الجزائر لمدة تزيد عن عشر سنوات أن : «الحافز الوحيد» الذي استمال الأوربيين على إلاذعان للضرائب المغربية كان « توسيع التجارة و«الارتشاء والفساد» وقال أن: «الاستجابة لرغبتهم أفضل لأن ذلك لا يكلف إلا أقل من الثأر النبيل(.Despatches, 1787) »[22] وهذا معروف جيدا حسب ريتشارد أوبريان، القنصل العام للولايات المتحدة بالجزائر، ويمضي أوبريان قائلا :« أنه مادامت تلك الدول في سلم مع الدول البربرية فإنها لا ترغب في أن تحصل أية دولة أخرى على سلم، وأنها لا تريد أن تشاطرها في جزء من فوائد هذه التجارة في المتوسط»( Macpherson, pp.458, 572-73.).

وتأكيد لما قاله القنصل الأمريكي الأخير، أوبريان، نرى أن اللورد شيفيلد Lord Sheffield يسير في هذا الاتجاه لاعتبارات تجارية محضة، ويقول أنه على الدول البحرية ألا تقدم عونا للولايات المتحدة للحصول على سلم مع البلدان المغربية. وهناك مثل سائر وسط التجار إلانجليز أنه لو لم تكن هناك الجزائر، كان على بريطانيا أن تقيم جزائر أخرى.

لقد تمت التجارة الأمريكية في المتوسط أيام الفترة الاستعمارية وكانت بعيدة عن مصدر إلاغاظة، ويقدر جيفرسون السفن التجارية الأمريكية بين 80 و100 سفينة سنويا تحمل20 ألف طن وعلى ظهرها 1200 بحار أمريكي.ووجد سوق تجاري أمريكي في موانئ المتوسط لسد س صادرات أمريكا من القمح والطحين وربع السمك المخلل والجاف يسوق من المستعمرات.

كما تصدر كميات معتبرة من السلع إلى أوربا الجنوبية وإفريقيا والمتمثلة في الشراب المسكر، وخشب الصنوبر، والرز، وخشب البلوط، وخشب الأرز، وشمع العسل، والبصلة.

[22] ذكر أوبراين أنه قبل الحرب كانت أمريكا تتاجر ب200 سفينة تعبر مضيق جبل طارق نحو المتوسط

بلغت قيمة المواد الإجمالية المشحونة إلى هذه المناطق كإنتاج أمريكي، رسميا لسنة 1770 حوالي 700.000 دولار،وفي نفس السنة بلغت التجارة الأجنبية المنقولة خاصة من West Indies إلى أوربا الجنوبية وإفريقيا 6,287 دولار، أما بالنسبة للسنة السابقة فقد بلغت الصادرات الكولونيالية إلى المنطقتين الأخيرتين أقل من سابقتها، وعن واردات المستعمرات من أوربا الجنوبية وإفريقيا، فقد بلغت رسميا سنة 1769 إلى 228,682 دولار وتتشكل أساسا من الخمور والملح، والزيت والجلود المغربية.

وبواسطة الهدايا، والمعاهدات، واستعمال القوة من حين لآخر، قامت بريطانيا بحماية تجارتها من قراصنة الدول المغربية، وجهزت سفن المستعمرات بجوازات الأميرالية «Admiralty » أو بجزء أكبر من طاقمها التي وعدت بالحصانة من المضايقة بموجب شروط المعاهدات المبرمة بين بريطانيا والدول المغربية.

ولكن ومن أجل التأكد من الاتفاقات التي هي قيد التطبيق، كان من الضروري على الحكومة البريطانية أن تعمل على تواجد مستمر لسفنها الحربية في المتوسط.

وبرغم أن سياسة بريطانيا المتوسطية، كانت خاضعة بدقة إلى نقد رسمي، إلا أنها كانت مفيدة لمستعمراتها، فقد وفرتهم بمبدأ سياسي لتجارة مربحة إلى حد ما، وأعفتهم من الجزية، ووفرت لهم الحصانة التي لم تتمتع بها إلا الدول الأوربية الأكثر حظوة(Beer, pp. 123-26; R.G. Marsden, II, pp. 347-48).

وهنا يمكن القول، أن المستعمرات وجدت على الأقل تعويضا جزئيا لبعض القيود المفروضة عليها من طرف النظام الاستعماري إلانجليزي( Hertslet, I, pp. 65-66 ; Lane-Poole, p.271. Beerp. 127).

**الدبلوماسية الجزائرية خلال العصر الحديث**

ارتبطت حيوية أوربا خلال العصر الحديث بميلاد الدولة الوطنية الحديثة المتخذة للمبادرة والمستعينة في تنفيذها للمشاريع بأدوات ومؤسسات هادفة. وشكلت الدبلوماسية العنصر الأساسي والفعال في محاولات أوربا اكتساح العالم. وكانت الجزائر من البلدان التي ارتبطت قديما بعلاقات متنوعة مع البلدان الأجنبية لدرجة جعلت الدايات يرون في كثافة هذه العلاقات وتنوعها مؤشرا لعظمة الجزائر وعزتها. ولكن إلى أي حد يمكن قبول هذا الطرح ؟ وهل حقا كانت للجزائر آلة دبلوماسية فعالة استخدمها الدايات

في علاقاتهم مع أوربا ؟ أو أن محاولاتهم ظلت محدودة ومتجاوزة ؟

**العلاقات السياسية في الإسلام**

ينبثق المبدأ المنظم للعلاقات الدولية في الإسلام من منطق وتفكير القانون الإسلامي المرتبط بالقرآن والسنة. وينطبق هذا المبدأ من كونية الإسلام : فالقرآن لا يتجه للمسلمين وحدهم، بل للبشرية جمعاء. فقد نظم الدين الإسلامي قواعد التعامل بين الأفراد، وقواعد التعامل بين الجماعات المختلفة، في الحدود التي وضعها القرآن في السلم والحرب. وانطلاقا من هذا، أقام المسلمون علاقاتهم مع الآخر لا على معطيات اجتماعية واقتصادية، ولكن على مواقف الفرد والجماعة وسلوكا تهم تجاه إلاله. ومن هذا المنطلق، برز التعارض بين دار الإسلام ودار الكفر، وحدد الدين جوهر علاقات المسلمين بالأجانب، عندما كانت الغلبة لصالح العالم الإسلامي، ولم يهتم المسلمون بأوربا، لأنها كانت في وضعية لا تخيفهم. فالدبلوماسية الإسلامية لجأت، في رأينا،إلى تقسيم العالم إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب. وكان المسلمون يستعملون الجهاد ضرورة فرضها القانون والدين. ومن أجل هذا، أصبح الغرب لا يرى في الإسلام إلا الحرب والمواجهة.

وقد كانت مدن الدويلات الإيطالية سباقة إلى الاهتمام بالآلة الدبلوماسية.وكانت تحسن استخدامها لتحقيق مصالحها. فالسفارة في أوربا مؤسسة اقتصادية بالأساس. لهذا دعم الأمراء إقامة السفراء في البلدان الأجنبية وشجعوها، لأن في استقرارهم مصلحة البلاد. واعتمدت أوربا على الآلة الدبلوماسية للتوغل داخلا في العوالم الأخرى.وكان القنصل أداة لإدراك ذهنية النخبة الحاكمة في هذه العوالم بحكم احتكاكهم بها وخدمتهم لها. وأصبحت أوربا لا تستطيع الاستغناء عن خدمات دبلوماسييها لأن مصالحها التجارية قد تتوقف.

يبدو مما تقدم أن هذه المؤسسة ما هي إلا أداة استعملتها الدولة الحديثة في أوربا من أجل التوغل اقتصاديا وسياسيا في العوالم الأخرى. وقد سهرت هذه الدولة على تكوين أطرها الدبلوماسية تكوينا يجعلهم قادرين على تحمل هذه المسئوولية القاضية بالتعامل والتفاوض باسم بلدانهم ولصالحها على حساب الآخرين. فكيف اكتشفت البلدان غير الأوربية هذا المد الدبلوماسي الأوربي المتزايد ؟ وما الحالة التي كانت توجد فيها الدبلوماسية الجزائرية خلال العصر الحديث ؟ وكيف كان البايلك الجزائري يكون أطره في هذا الحقل ؟

**الدبلوماسية الجزائرية وخصائصها**

قليلة هي الأدبيات التي اهتمت بموضوع الدبلوماسية في الجزائر، ما عدا محاولات قليلة ومحدودة جدا وذلك من خلال قراءات في تأليف ومراسلات رسمية أمريكية –أوربية تهدف جميعها إلى التشكيك في وجود دولة جزائرية. والملاحظ أن علاقات الجزائر بالعالم إلاسلامي محدودة وتحتاج إلى الاهتمام لما تتضمنه من مصلحة للبلاد. وأما علاقتها بالأجانب، فإنها تغلب عليها المجاملات والشكليات. ومن خلال هذه القراءات والمراسلات الرسمية، يتبين أن الداي يظل المنشط الأساسي للدبلوماسية الجزائرية. وكان يستعين في تحريكها بخدام له يبعثهم إلى البلدان التي يريد الاتصال بها وعرفوا باسم السفراء. فهل كان لهؤلاء المبعوثين تكوين يؤهلهم بمهام السفارة ؟ الملاحظ أن الجزائر لم تهتم بتعيين سفراء لتمثيلها عند ملوك أوربا على أساس أن يقيموا عند هؤلاء لمدة طويلة، بل كان يرسل مبعوثين عنه لفترات قصيرة جدا وفي مهام مضبوطة، وغالبا ما كان هؤلاء السفراء يستعينون في رحلاتهم بخدمات القناصل المعتمدين في الجزائر أو بالتجار الأجانب، بإلاضافة إلى أهل الذمة. واعتادوا التنقل في السفن الأوربية. وهكذا كانت هذه السفارات تذهب إلى أوربا في جو رسمي في الداخل والخارج. وعند وصولهم يجدون برامج تحركا تهم مسطرة ومضبوطة ينتقلون من مكان إلى آخر وفق ما رسمته الدولة المضيفة. ومن ثم ظلت معرفتهم بهذه المجتمعات سطحية، ولاسيما أن تكوينهم ظل معتمدا على المألوف وعلى التجربة.

**نماذج من السفراء الجزائريين**

من الصعب إلاقرار بوجود آلة دبلوماسية جزائرية على غرار ما كان حاصل في أوربا، حيث كانت هذه المؤسسة تعكس مظهرا من مظاهر حيوية الدولة الحديثة وطموحاتها، في حين كانت السفارة في الجزائر تندرج ضمن منطق إسلامي معهود في تاريخه : الرحلة. أي القيام بسفر إلى دولة أجنبية من أجل قضاء أمر ما. فهي عمل مؤقت وبأمر رسمي. وانطلاقا من هذا نتساءل: هل نستطيع، ونحن نفكر في إرسال الوفود إلى الدول الأجنبية أن نتحدث عن دبلوماسية جزائرية متراكمة وفعالة أو أن الأمر لا يعدو أن يكون غير ذلك؟.

لم يهتم ديوان الداي بمسألة تكوين الأطر التي كان يكلفها بمهام في البلدان الأجنبية. وقد تكون السفراء الجزائريون في مهنتهم عن طريق التجربة والممارسة الميدانية، فلم يهتم دايات الجزائر بدبلوماسية الإقامة في البلدان الأجنبية ولم يعطوا مبعوثيهم تكوينا خاصا.

فمن خلال ما سبق، يظهر أن الجزائر لم تكن لها آلة دبلوماسية هادفة إلى تحقيق مصالح متداخلة اقتصاديا وسياسيا ومعتمدة على فاعلين سياسيين لهم تكوين خاص وإطار معين يتحركون فيه من أجل الدفاع عن مصالح الجزائر ومنافعها، بل كانت دبلوماسية مندرجة في منطق ما يراه الداي مناسبا. لذلك لم تكن دبلوماسية تعتمد التراكم والتكامل بل جاءت مشتتة ومرتبطة بالمهمة وبتكوين المبعوث.

وعلى العكس من هذا، كانت بلدان أوربا تستخدم الدبلوماسية لتحقق أهدافها التي كانت تتمثل في فرض منطق غلبتها، والعمل على خلق الأسلوب الملائم لهذه الغلبة وهذا التجاوز.وفي هذا الصدد، اهتمت الدول الأوربية باستعمال إلاطار القانوني القادر على محاصرة وتطويق العناصر التي كانت تعارض مصالحها. ولأجل الوصول إلى هذه الغاية، لجأت إلى دعم وفرض أسلوب المعاهدات والمهادنة مع العوالم الأخرى، بما في ذلك الجزائر خلال العصر الحديث.

**البحرية الجزائرية عبر التاريخ**

سأقدم هذه المعلومات عن البحرية الجزائرية، والتي ليست معروفة، في الغالب، خارج شمال أفريقيا. ويبدو أن أنجح قراصنة شمال أفريقيا كانوا من جزر قرقنة، في الجزء الشمالي من خليج قابس. فسكان هذه الجزر، وتقاليدهم البحرية، وجميع السفن التي تم بناؤها وإبحارها كانت محل دراسة وافية من André Louis لمكتبة «إبلا–Ibla وقد قدمت بعض أعماله في بحث قيم في مؤتمر انعقد في سبتمبر من عام 1974، في المعهد الدولي للثقافة البحرية، لليونان.

بدأت مراكز القرصنة الناجحة تظهر في بداية القرن السادس عشر في غرب المتوسط. وفي البداية، لم يكن للجزائر قوة بحرية قوية لمواجهة إسبانيا بحرا، خاصة بعد أن قررت إسبانيا نشر قواتها على المدن الساحلية الجزائرية، بعد سقوط غرناطة عام 1492، وحاولت إسبانيا إقامة إمبراطورية إسبانية في شمال إفريقيا . ولم يكن هناك رد فعل بحري، فعلى سبيل المثال، قرر إلاسبان عام 1515، احتلال المرسى الكبير فقاموا بإرسال 140 سفينة بما فيها 6 سفن شراعية كبيرة ذات مجاذيف. تنقل 10.490 جندي. لكن رد الفعل كان قويا وحاسما عند استرجاع الجزائر لحصن Pênon من يد إلاسبان عام 1529، بعد هذه السنة أصبحت الجزائر ملكة مدن القرصنة، إضافة إلى انهزام الأسبان بالجزائر عام 1541، وتونس 1574.(Mathew Carey , 1794)

وفي العديد من العمليات البحرية القوية في شمال أفريقيا في القرن السادس عشر. وما هو معروف أقل، هو أن هناك رد فعل بحري ضد العديد من الهجمات والحصار الأوربي ضد مدينة الجزائر، والتي تبدو معالمها بارزة في التاريخ البحري الجزائري، خاصة قنبلة مدينة الجزائر من قبل الدنمارك، وإسبانيا لعامي 1770 و1784 والحصار الفرنسي 1682–1683 والأخير1830–1827.

( Ibid. p.25; John Foss, (1798?) : 154, 96-101)

وما تجدر الإشارة إليه أيضا، أنه ومنذ أمد بعيد وقبل بروز الرايس حميدو الشهير، في بداية القرن التاسع عشر، والذي يعد آخر بطل من أبطال البحرية الجزائرية، باعتراف العديد من الدول الأوربية لهذا القائد الكفء والشجاع، وجد عدد كبير جدا من ضباط البحرية الجزائريين يقومون بعمليات عسكرية بحرية خارج المياه إلاقليمية الجزائرية، ومنهم الرايس شلوك في عام 1556، والأخوين عروج وخير الدين بربروسة، وعلج علي، وسانسون من La Rochelle، وإلانجليزيين اللذان اعتنقا إلاسلام Liver وSimon Dansa Edward الشهير «البعض يقول أنه لم يعتنق إلاسلام» وهنا يشير الأوربيون أن البحرية الجزائرية والمغاربية كانت كلها في أيدي الأوربيين الذين اعتنقوا إلاسلام– حسب رأيهم– والسجلات الكثيرة تثبت بطلان ذلك، وبرغم ذلك يمكن للمرء قبول ما أكده الراهب إلاسباني –الصقليDiego de Haedo الذي كان أسيرا في الجزائر بين 78–1581 «أنه لا توجد دولة مسيحية واحدة لم تقدم للجزائر دعمها بالمرتدين».

(Ibid. p.25; John Foss, (1798?): 154, 96-101)

ويذكر الخبير إلايطالي Pabntero-Pantera، المهندس البحري في بداية القرن السابع عشر، أن سفن أهل الجزائر والبلدان المغربية هي أفضل سفن الجذف في البحر المتوسط، ويلاحظ أيضا استعمال ضباط القرصنة ما يسمى ب Bargarin أو دفع أجور الجذافين المتطوعين.

ويشهد هايدو في القرن السادس عشر ومراقبون آخرون حتى نهاية القرن 16 عشر، بتفوق بناء السفن الجزائرية في أحواض شرشال، وجيجل، وبجاية والعاصمة ومراكز أخرى.ومن بين الأحداث البحرية الهامة في تاريخ الجزائر بين،عندما استعمل بربروسة 45 سفينة لطرد الأسبان من Pênon و1830 هي كالتالي:

أنه في عام 1529، قام قائد السفن الشراعية الكبيرة لأسبانيا، Portundo، بمرافقة شارل1إلى جنوة، عند ما اتجه الأخيرإلى Bologna ليتوج كليمنت السابع،إمبراطور الرومان المقدس.

عاد «بورتيندو» ومعه 8 سفن شراعية إلى القاعدة التي انطلق منها، ولما كان بين برشلونة وفلانسيا سمع بهروب عدد من عرب الأندلس من أسبانيا في 14 غليوطة جزائرية، وأنهم قد يكونون وصلوا إلى مياه جزر البليار. وعليه قرر استرداد رعايا الملك «المتمردين» ومعهم أمتعتهم التي حملوها معهم. وقام بمطاردتهم والتقى مع الجزائريين قرب Formentera وقرر عدم استعمال مدافعه، بل القيام بالجذف حتى يصل إلى السفن الجزائرية ويلقي القبض عليهم أجمعين. غير أن الجزائريين غيروا مجرى طريقهم، وخفضوا من سرعتهم حتى اقترب منهم «بورتيندو» فأطلقوا عليه ومن معه النار بأسلحة خفيفة وقتل «بورتيندو» بالقربينة هو وابنه، وأسرت سبع سفن من سفنه.

وفي عام 1540، هاجمت 16 سفينة جزائرية سفن. Mendoza الرئيس العام لسفن إسبانيا. وفي 5 جويلية 1553، هزم صالح باشا ب 40 سفينة الأسطول البرتغالي قرب شاطئ Vélez وفي 1555 قام الرايس صالح باشا وشلوك وآخرون، بأسطول قوامه 30 سفينة شراعية بتمشيط غرب البحر المتوسط، وفي 1557 قام بربروسة وابنه حسن بقيادة 40 سفينة وخرجوا عن طريق مضيق جبل طارق في حملة عسكرية ضد ملك فاس.وفي 1560 وجه دراو Dragut ضربة ساحقة للأسطول الأسباني في جربة، بتونس.

(Ibid. p.25 ; John Foss, (1798?): 154, 96-101)

وفي 1563، شاركت 28 سفينة جزائرية في هجوم فاشل قام به الأتراك على جزيرة مالطة، غير أن علج علي قام بهجوم على أسطول فرسان القديس يوحنا ومعه 19 سفينة جزائرية وأسر بارجة الأميرال والسفن التالية : St.Jean Ste Anne, Patronne وعلقت غنائم هذا الانتصار مدة 8 سنوات على باب الجهاد، بالجزائر العاصمة.

وشاركت مجموعة سفن جزائرية في معركة Lepanto بقيادة علج علي، وكان القائد الوحيد في الأسطول العثماني الذي ذاعت سمعته، ومن اقتراحات علج علي فيما بعد، إدخال عدة تحسينات على البحرية العثمانية، وإقامة قناة في برزخ السويس.

وعن عدد الرياس، أحصى هايدو، 35 قبطانا في 1581، وكل واحد له سفينته. منهم 12 من الجزائريين، ويذكر أن الأسطول الجزائري كان يتكون آنذاك من 25 سفينة صغيرة، ويقود معظم هذه السفن ضباط جزائريون. ولهايدو، ملاحظات فاتنة عن الأعشاب البحرية الصالحة للأكل والمستهلكة في الجزائر في هذا الوقت، ويتحدث عن مدى شعبية السمك كأكلة متاحة للجميع، ويشير أن الصيادين الجزائريين لا يذهبون بعيدا في البحر خوفا من الأسر من القراصنة المسيحيين.

وفي 1606 اقترح دانسا أنه على الجزائريين أن يجهزوا أنفسهم بسفن مدورة، كالسفن الشراعية الكبيرة، خاصة إذا ما علمنا أن التدفق الكبير لعرب الأندلس المضطهدون من أسبانيا بعد 1609، قد وفر إرادة قوية وخبرة عمل في الميدان. James Wilson Stevens, 1797. pp. 51-54.

وفي 1616، وصل القراصنة الجزائريون إلى إيسلاندة–Iceland وفي 1617 هاجموا Madeira. وبعد ثلاث سنوات فر العربي الأندلسي–صاحب المدفعية– الذي عمل في البحرية الأسبانية إلى تونس وألف كتابا مفصلا عن المدفعية البحرية، بتوضيحات ورسوم بيانية، وتوجد نسختين من مخطوطه بالعربية في المكتبة الوطنية الجزائرية.

استولى الجزائريون بين 1613 و1621 على 447 سفينة هولندية، و193 فرنسية، و120 أسبانية، و60 انجليزية، و56 ألمانية. وقد أحضروها جميعا إلى الجزائر كغنائم بحرية، وحطموا العديد منها في البحر. وفي العشرينات من 1620 قام جزائريون ومغاربة، من سلا بالعمل البحري على ضفاف «نيوفاوند لاند–New Foundland وعلى سواحل Nova Scotia.

وفي 1630 قامت 122 سفينة من البلدان المغاربية بعمليات بحرية نشيطة، 70 منها جزائرية. وفي 1631، قام الجزائريون بنقل مجموعة من أهالي Baltimore, Co. Cork وأظهر معظمهم عدم الحماس للعودة إلى وطنهم عند ما تقدمت بريطانيا بفديتهم، ووصل الجزائريون في السنوات اللاحقة إلى St. George Channel وإلى الممرات الغربية.

اختلف نظام تقسيم دخل الغنائم في الجزائر عبر العصور لكنه كان دائما دقيقا وصارما تحت مراقبة ضابط سامي في الدولة. إذ كانت نسبة 12٪ من القيمة تذهب إلى الباشا، و1٪ للمرابطين أو الأولياء الصالحين لمساجد المدينة، و43٪ للرايس (القبطان)

ومالكي السفينة (ربما يكون عددهم كبير من الأهالي، لأن سفن القرصنة في القرن 18 كانت تابعة للدولة)، و43٪ للطاقم حسب درجات الاستحقاق. كما تجدر الملاحظة هنا أن العبيد المسيحيين القائمين بعملية الجذف لهم نصيبهم من أموال الغنيمة.

James Wilson Stevens, pp. 51-54.

ولا أعتقد أن العبيد المسلمين يتلقون ذلك.

وفي سنة 1634حل بالجزائر الكاهن Pierre Dan الذي نشر كتابه Histoire de Barbarie et des ses Corsaires بباريس عام 1637. أي أنه في عام 1634 كانت الجزائر تملك 4 سفن شراعية كبرى و9 سفن صغيرة و70 من النوع الخفيف، بما في ذلك أنواع بولاكر Placres ذات 25–40 مدفعا. وفي 7 أوت من نفس السنة أبحرت 28 سفينة جزائرية إلى المحيط الأطلسي

وقال «دان» أنه أبحرت 5 سفن أخرى للاستكشاف شرقي المتوسط–Les plus beaux et les mieux armés qu'il fût possible de voir. . وفي 1635 قام جون نارنبورو John Narborrough بقنبلة مدينة الجزائر وأحرق جميع السفن المتواجدة في الميناء.

أما عن أسطول طرابلس قبل 1632 فكان ملكا للدولة بكامله. ولطرابلس سفن خفيفة تم بناؤها عام 1619، ولها 6 سفن من نوع30–40 مدفعا و4 من نوع 20–30 مدفعا وكان كل رايس يتقاضى شهريا أجرا قاعديا قدره 60 سكودي.

وفي 1638 قامت 16 سفينة شراعية من تونس وبنزرت والجزائر بهجوم على نيابة ملك أسبانيا لنابولي.

وفي شهر فيفري 1641، أبحر الكاهن Devereux Spratt من Tralee, Co. Kerra إلى انجلترة من Youghal في إحدى سفن John Filmer لتلك المدينة، غير أن القراصنة الجزائريين أخذوا سفينتهم قبل وصولها اليابسة وحولوها إلى الجزائر. وتوقع Spratt مصيرا أسوأ من الموت في الجزائر، لكنه وباعتراف منه وجد معاملة حسنة. بقي في الجزائر كواعظ يؤدي الصلاة بالأسرى المسيحيين، وعاد إلى وطنه بعد فديته واستقر به المقام كقسيس بمدينة Mitchels-town, Co. Kork.

شارك الأسطول الجزائري بين 1645 و1669 في عمليات بحرية في الحملات التركية عرفت نجاحا وفشلا وبلغت ذروتها عند ما احتلوا Candia من البندقية. وفي 1646 قام الجزائريون بمهاجمة .Playmouth

وفي الستينات من 1660هاجمت أساطيل فرنسا، وبريطانيا وهولندة بقيادة Beaufort and Paut, Montague, Spragg, and Ruyter الجزائر باسم التمدن ضد الوحشية، لكن ذلك لم يكن في الواقع سوى فكرة ناشئة عن حركة تاريخية طويلة المدى لفرض مفهوم المجتمع الغربي، وشروط التجارة الأوربية على بقية العالم. فالجزائريون خسروا معارك وسفن عديدة، لكن أسطولهم، طبقا لترجمة الوقائع، نجح في إبعاد وطرد Spragg من الجزائر عام 1668، وأجبرت الهجمات المتواصلة الجزائريين على إعادة النظر في تنظيم قواتهم البحرية، التي كانت إلى وقت ما لا تبحر إلا في أسطول قوي. وفي 1670 قام اللورد دارموث–Darmouth بحملة ضد مدينة الجزائر لكنه لم يستطع الاستيلاء على المدينة. وفي عام1671 (Niles weekly register, Oct ; 1816,p.121)، شعرت طائفة الرياس بعدم دعم الخلافة العثمانية لهم، فاستولت على السلطة وجعلت من الرايس الحاج محمد دايا على الجزائر، واستمر هذا الداي يعترف بسلطة الخليفة العثماني.

وبعد إعادة تنظيم القوات البحرية الجزائرية ذهب إلى العمليات البحرية ونال نجاحات مذهلة تحت قيادة ضباط أكفاء، مثل علي بتشين، والحاج حساين (مرتد) ومحمد شرشالي، وبن محمد الشفار (من الجزائريين) وقد كان في عام 1674، 35 ضابط جزائري و3 من المرتدين أو معتنقي الإسلام. وقد استولوا في سنة 1675 على 83 غنيمة بحرية قدرت قيمتها 312.988.75 ف وفي سنة 1676 على 58 غنيمة. (H. G. Barnby, 1880, pp. 580-604)

نشط الجزائريون أكثر في سنة 1676 عند ما شنوا هجوما على سواحل البرتغال. وفي سنة 1683 قام الرايس محمد التاج بأسر سفينة انجليزية بحمولتها من الرخام وأعادها الفرنسيون. وفي 1686 استولى الرايس الجزائري، علي بسطانجي، على غنيمة فرنسية عندما كانت خارج سلا.

وتوقف نشاط الجزائريين لفترة حتى يعود إلى المسرح من جديد في عام 1690، حيث قاموا بإغراق السفينة الفرنسية Ste. Anne قرب جزر الكناري، وفي 1693 قامت

السفينة الجزائرية Roze بأسر السفينة الهولندية St. Clara على بعد 40 ميلا غرب خليج سان فانسان بقيادة الرايس بابا علي.

وهناك سجلات تبين أسر الجزائريين لسفن برتغالية وهولندية في نوفمبر 1696، وأكتوبر 1697، وجويلية وأوت 1698 وديسمبر 1699. والأخيرة بقيادة الرايس كليل على مسافة 100 ميل غرب .Berlingsوقد لاحظ المراقبون الأوربيون أن السفن الجزائرية لا تتجه إلى البحر إلا في نهاية السنة، كما يبحرون في بداية مارس أو بعد 25 ماي لتجنب العواصف الشديدة. (Foss, p56)

وفي 1706 أصبح يدير دفة السفينة الجزائرية Roze الرايس حامت طويل،الذي هاجم السفينة الهولندية Marie التي تحمل 20 طنا وأسر من فيها.

ورغم الهجمات الفرنسية المتوالية والعديمة الفائدة في الثمانينيات من 1680 بقيادة أمراء البحرية الفرنسية Duquesne, Tourville, D'Estrées واستعمال نوع جديد من السفن الشراعية المقنبلة التي اخترعها Petit-Reneau فإن العلاقات الجزائرية–الفرنسية كانت أفضل من التي كانت تربط الجزائر بالدول الأوربية الأخرى وذلك لعلاقة فرنسا بالدولة العثمانية.

وفي بداية القرن 18 أصبحت السفن الجزائرية تعمل بشكل انفرادي أو في مجموعات صغيرة، فهي غالبا ما تغادر ميناء الجزائر في ستة سفن، فقد وجد عرضا، وصف من الفرنسي Chastelet des Boys عند أسره في 1670 من قبل السفن الجزائرية على تأكيد هذا القول. وأن هذه السفن تطلق عند عودتها إلى ميناء الجزائر ما يعرف بالصلية أو الإصلاء للخرطوشة الحلبية وذلك عند نجاحها في عملياتها القرصنية. وكل سفينة جزائرية تغادر الميناء إلا وتطلق طلقة واحدة للخرطوشة الحلبية عند ابتعادها عن قصر الداي وكذلك باب عزون، حيث يوجد ضريح المرابط الذي تنسب إليه الهزائم المشئومة لحملة شارل الخامس ضد الجزائر في سنة 1541، كما وقع التكهن بهزيمة الإنزال الأسباني بالجزائر في عامي 1567 و1775(Foss, p56)

ووجدت سجلات بين 1709 و1725 في أرشيف القنصلية الفرنسية قام بجمعها Pierre Devoulx في القرن التاسع عشر، تذكر الغنائم البحرية للسفن الجزائرية من جنوة، وهولندة، وهامبورغ، وفرنسا وشركة الهند الشرقية. أما مناطق هذه الغنائم فتمتد من Madeira إلى .Ushant واستولى الجزائريون في 15 ديسمبر 1720 على السفينة الفرنسية Le Maréchal d'Estrées بين Le Havre والسينغال.

وفي 1708، استعاد الجزائريون وهران من أسبانيا، وبقيت تحت سلطتهم إلى سنة 1732. وهذا يعني أن هناك قاعدة بحرية جزائرية قوية في المتوسط على مدى 24 سنة أخرى.

وفي 1737 بلغ عدد سفن الأسطول الجزائري 17 ومعها 100 مدفع و127 سفينة خفيفة Naval, I. p.59.

وفي 1739 فقدت الجزائر ثلاث سفن في عملية حربية مع أسبانيا كما خسرت نفس العدد في 1741. وفقدت أيضا سفينة من جنسية نابولية، وفي 1742 فقدت 2 وربما بسبب العواصف، قرب مينورقا في 10 ديسمبر، وسفينة ذات 16 مدفعا أغرقتها سفن فرسان القديس يوحنا. وبرغم هذه الخسارة فإن البحرية الجزائرية خاضت معركة شديدة في عام 1743 مع سفينة تجارية فرنسية والمسماة ب Louis-Alexandre قرب خليج سان فانسان، وألحقت بالأسطول الجزائري.

وظهر بين 1741 و1763 رايس من مواليد الجزائر، اشتهر بأعماله البحرية، إنه الرايس الحاج أمبارك، حيث عمل في البداية على سفينة ذات 8 مدافع تسمى الفرس الأبيض The White Horse ونجح في أعماله القرصنية ضد سفن هولندة والبرتغال، وهامبورغ وأسبانيا، وكان أجداده يقومون بغارات على سواحل أسبانيا منذ طردهم من الأندلس قبل قرن من هذا الوقت. حيث كانت الأمهات الأسبانيات يخوفن أولادهن باسم الحاج أمبارك.

انطلق الحاج أمبارك في إحدى المناسبات من الجزائر بسرعة لحماية ثلاثة من طاقمه مهددين بالقتل لعدم احترامهم الأوامر الصارمة للداي بعد حظر التجول وكان في حاجة إلى انتصار مثير، فهاجم أول سفينة أسبانية بانت له، والتي خسر فيها الرايس بعد معركة شرسة. بعدها أذن قائد السفينة الأسبانية الاحتفال بهذا النصر، مما حول نصرهم إلى هزيمة حيث استطاع الحاج أمبارك ورفاقه استعادة سفينتهم وأسر الأسبانية وعادوا إلى الجزائر بانتصار ثمين.فقد نقلت هذه الحادثة إلى Devoulx من قبل الرايس حسن الذي كان في سفينة Tsouria يقاوم الأسطول الفرنسي المحاصر للجزائر في 4 أكتوبر 1827، والذي كان يعرف في شبابه باسم الحاج أمبارك.

وفي عام 1749 استولت مجموعة سفن جزائرية على السفينة الحربية للبندقية Santa Trinita-san Giovanni بقيادة Tarqculli والسفينة التجارية الفرنسيةMarguerite

كان الأسطول الجزائري في عام 1753 يتكون من 22 سفينة يصل مجموع مدافعه إلى 266، 7 منها تعمل بالمجاذيف. وحصل على مجموعة من الغنائم من بينها السفينتين الفرنسيتين Assomption التي أسرت في مضيق جبل طارق وSaint Antoine من بوردو، كانت متجهة إلى المارتنيك، أسرت قرب Azores بعد معركة ضارية. وفي 3 جوان 1756 تم الاستيلاء على سفينة أسبانية ذات 14 مدفعا. وبلغ عدد الأسطول الجزائري في الخمسينات والستينات من القرن 18 عشر، 25 سفينة في كل سنة. (Am.Stat., pp. 322-23).

وعرفت سنة 1762 ظهور رايس ادعى أنه انجليزي، وكان اسمه .Pascal Scarericheوفي عام 1765 أخذ الرايس محمد سفينة الرايس حسن الذي قتل في معركة مع الأسبان، وتم له الثأر بإلقاء القبض على سفينة حربية لأسبانية، كما تم إلقاء القبض على سفينة حربية من نابولي.

وابتداء من عام 1765 أصبح سجل الغنائم الواردة إلى الجزائر معروف تماما. حيث كان في عام 1766، 17 غنيمة بلغت قيمتها 113.051.71ف. من طراز عصر نابليون الثالث. وفي 1767، 18 وفي 1768، 8 وفي 1770، 4 وفي 1773، 2، وفي 1774، 4 وقدرت قيمتها جميعا ب 121.080.37ف. وفي الوقت ذاته شارك الأسطول الجزائري في الحرب التركية–الروسية لسنوات 68–1774 مشاركة قوية ونجح إلى حد كبير في ذلك، كما شارك مع الأسطول العثماني في .Aegean وما يلاحظ هنا هو مشاركة الجزائر في حروب لا تهمها بل تضعف من قدرتها الدفاعية وتجعل سواحلها عرضة للطامعين. (Naval, I. p. 240)

قام الأسطول الجزائري في سنتي 1775 و1777 بإلقاء القبض على سفن حربية للأعداء في غرب المتوسط، منها سفينة لأسبانية وأخرى من نابولي ذات 18 مدفعا، بقيادة القبطان Stefano Berlingero قرب مالطة. كما كانت سنة 1775 كارثة أسبانية عند ما حاولت بقيادة القائد العام O'Reilly بالاستيلاء على مدينة الجزائر، وأصيبت الفرغاطة الأسبانية San José إصابة قاتلة من بطاريات الشاطئ الجزائري. وفي 1777 قام الأسطول الدنماركي بقيادة الأميرال Kaus بقنبلة غير موفقة لمدينة الجزائر، وقد ألفت قصص جزائرية تشيد بالدفاع الجزائري وهزيمة الدنماركيين.

كما فشل الأسبان مرتين في هجومهما على مدينة الجزائر سنتي 1783و1784. وقد استهلك الأسبان في هجومهم الثاني 15.000 قذيفة خلال خمسة أيام من الهجوم، غير

أن هذه القذائف كانت بعيدة لا تصل إلى القوارب الجزائرية ولم تصب أية قذيفة المدينة، وفقد الأسبان عدد كبير من مثبتاتهم والتي استولى عليها الجزائريون. وكان الجزائريون يلجئون إلى حرق سفنهم على شواطئ المرفأ، عندما تكون أساطيل العدو قوية وكثيرة العدد حماية لها من قذائف العدو.

(Am. Stat., pp. 52-53; Commander G. H. R. Erroli, R. N. pp. 487-505)

وفي سنة 1780 تم بناء 12 سفينة حربية جديدة، وفي هذه السنة قام البابا بتهديد صليبي ضد الجزائر وساندته في ذلك أسبانيا، غير أن فشلها الدائم مع الجزائر في حملاتها 1783،1775،و1784 جعلها تتقدم بطلب فتح المفاوضات مع الجزائر، وترأس الوفد الأسباني المفاوض الأميرال الشهير Mazzaredo وانتهت المفاوضات
بطرد الأسبان من وهران في 1792، وبعد ذلك وبفترة قصيرة يقوم باي وهران بإسناد مهمة قيادة سفينة صغيرة إلى شاب جزائري الذي أصبح الرايس حميدو الكبير. مع العلم أن الأسبان اقترحوا قبل 1792 على الانجليز أن يقدموا لهم وهران، أو بيرتو ريكو–Puerto Rico مقابل جبل طارق. (Houghton Mifflin, p. 102)

وفي 1799 قامت سفينتين جزائريتين من نوع 30 مدفعا بأسر سفينة حربية من البندقية، لم يعرف اسمها ونوعها.

وفي عام 1808 كان الأسطول الجزائري يتكون من 20 سفينة، بما فيها السفينة البرتغالية ذات 44 مدفعا والتي استولى عليها الرايس حميدو، والتي كانت تعد إحدى السفن الخاصة بعملية التجسس في سواحل أسبانيا.

وتوجد أسماء ضباط البرتغالية Sisne في أرشيف القنصلية الفرنسية بالجزائر وفي دفتر الغنائم الجزائرية.وقد القي عليها القبض في 1802 وأصبحت السفينة المفضلة للرايس حميدو، فيما بعد. وقد تدخل القنصل الفرنسي في تحرير الأسرى يوم 22 مارس 1808، عندما أصبحت البرتغال خاضعة لنابليون. مؤقتا. وهذه بعض أسماء الضباط.

قائد السفينة Paolo Friere de Andrade

ضباط آخرون :

Domingo Louis Lopes de Terras, Joze Bernardo de Lacerada, J'oachim-Jose de Castro Guedoz, Joôo Echanaudes de Andrade, Joôo Alfonso Neto

وكانت القيمة المطلوبة للطاقم المكون من 282 أسير هي 103.590فرنك.

أسرت هذه السفينة بعد قتل قبطانها،الرايس حميدو يوم 17 جوان 1815 في خليج Cape de Gate بعد معركة غير متكافئة مع الأمريكيين، وقد استعادتها الجزائر في نفس السنة وحطمت في الهجوم المشترك الانجليزي–الهولندي ضد الجزائر يوم 27 أوت 1816. (Wilson Garey, 208-23)

وتعتبر السنوات الممتدة بين 1766و1780 أفضلها في كسب الغنائم إلى غاية ظهور الرايس حميدو في 15 سنة الأولى من القرن 19، وذلك عندما ألقي القبض على 16 سفينة بلغت قيمتها 457.313 فرنك نابليون. ولنا قائمة لمجموع الرياس الذين قاموا بعمليات بحرية في تلك السنة، قارة حسين، صاري محمد، أحمد الألباني، عنجا محمد، الحاج مهدي بن الخراط، القادوسي، محمد، بن زرمان، راليونجي، سليمان برماكسيس، مصطفى القهواجي، صالح، مامو وقارة خليل.

ويتكون طاقم السفينة من لاجئي عرب الأندلس، ومن جبال القبائل الذين يوضعون في الدفة، ومن بسكرة، والمغرب الأقصى. كما يوجد وسط هذا الطاقم أوربيين اعتنقوا الإسلام. ويمثل الأتراك العدد الكبير من الضباط. وقد تم التخلي، في المرحلة الأخيرة، عن استعمال الأسرى المسيحيين، باستثناء نجارين، بالإضافة إلى هذا هناك خوجة، أو كاتب الرايس، المتواجد في كل سفينة، والضابط المدفعي، وضابط الغنيمة. وينقسم الطاقم إلى قسمين في الحراسة، قسم في مقدمة وآخر في مؤخرة السفينة، ويرأسهم باش–رايس، أو نائب قبطان السفينة.

ويتقاضى أعضاء الطاقم سكوين واحد عن كل رحلة، وذلك في نهاية القرن 18. ومعدل أيام الرحلة تتراوح بين 40–50 يوما. وباستطاعة الرايس أن يوظف عنوة أي بحار أهلي لرحلة يقوم بها.(Henri Klein, pp. 59-63)

وقد شهدت سنة 1812، 15 سفينة، من بينها 5 فرغاطات حديثة الصنع، و50 مركبا للدفاع عن الميناء وقت الحاجة وفيما عدا ذلك توضع في برج الجديد. و11 منها مجهزة بمدفع هاون واحد.

قتل الرايس حميدو في معركة مع الأسطول الأمريكي عام 1815. وفي 27 و28 أوت 1816 قنبل الأسطول المشترك البريطاني–الهولندي بقيادة اللورد إكسموث، مدينة الجزائر .(W. G. Constable, pp.2-7)

وفي 4 سبتمبر السابق عادت 16 سفينة جزائرية كانت في شرق المتوسط. وفي عام 1821 وعد الداي الخليفة العثماني 70 سفينة جزائرية في حربه ضد اليونان، وفي عام 1823 قدمت الجزائر فرغاطتين وسفينة شراعية لمرافقة فرغاطة مصرية إلى الإسكندرية، بعدها توجهتا في دورية استطلاعية إلى جزيرة كريت Crete في حين كانت سفن جزائرية أخرى متواجدة في الدردنيل واسطنبول.

لقد أشاد العديد من المراقبين الأوربيين إلى النظافة والنظام المحكم الموجود على ظهر السفن الحربية الجزائرية، وليس فقط فانتوري دي بارادي–Venture de Parades الذي اعترف بذلك في زيارته إلى الجزائر في نهاية القرن 18، بل أيضا حاكم جبل طارق الذي عبر رسميا عن ذلك للحكومة الجزائرية عن الخبرة التي يتمتع بها البحارة الجزائريون عندما زودوا الحصن خلال الحصار الأسباني–الفرنسي عام 1782. واعترف أيضا بالسمعة التي يتمتع بها ميناء الجزائر. وبقيت السفن الجزائرية تحافظ على هذه السمعة حتى الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830.

شاركت البحرية الجزائرية مشاركة مشرفة في حرب استقلال اليونان بقيادة إبراهيم باشا، من وجهة نظر تركية.

وقد قاد الفرقة العسكرية الجزائرية مصطفى رايس، وفقدت الفرقة سفينة واحدة نتيجة قاذفات الحراقة اليونانية، ومع ذلك شاركت الفرقة في أربع عمليات ناجحة دون أن تفقد سفينة، كما حملت قافلتين من الجنود إلى منطقة نافارين– Navarino ومن غير خسارة رغم الهجوم الذي تعرضت له، في حين فقدت البحرية التونسية مجموعة من سفنها وكذلك الحال طرابلس، خاصة عام 1823 عندما أقدمت سفينة طرابلسية على إغراق نفسها حتى لا تتعرض للغرق.

شهدت سنة 1827 معركة نافارين أيضا بداية حصار فرنسي للجزائر حتى نزلت قوات المعتدين عام 1830 في سيدي فرج، وهو المكان الذي اقترحه كل من فانتور دي بارادي قبل 50 سنة وأكده جاسوس فرنسي أرسله نابليون في عام 1808، ثم أجلت عملية الغزو

بسبب ظروف نابليون في أوربا. وحل ثوابر عام 1812، وتلاه بعد ذلك القنصل العام الأمريكي، ويليام شيلر الذي أكده في كتابه، مختصر في تاريخ الجزائر، 1826.

كان آخر جواز أصدره القنصل الفرنسي بموجب الاتفاق الجزائري–الفرنسي حول ضمان سلامة السفن الفرنسية من القرصنة الجزائرية في 26 ماي 1827.

وفي 4 أكتوبر تمكن الرايس حسن بسفينة ذات 12 مدفعا إلى جانب فرغاطة و4 Corvettes، و6 Brigs و1 Schooner اختراق حصار القبطان . Colletوفي سنة 1824 استولت مجموعة سفن جزائرية بما فيها سفينة حسن، على مراكب شراعية أسبانية بقيمة 76.461 فرنك. وفي سنة 1825 استولت الجزائر أيضا على 5 سفن بابوية. وفي سنة 1827 استطاعت مجموعة سفن جزائرية مراوغة وخرق السفن الفرنسية المحاصرة للساحل الجزائري وغنمت 5 سفن أخرى وبيعها في موانئ صديقة مجاورة. ثم أنه في نهاية أكتوبر 1827 استولت الجزائرعلى غنيمة بحرية وبيعت بتونس بقيمة 29.356.50 فرنك، وذلك بقيادة على الميورقي.استمر الحصار الفرنسي، وحاولت سفن جزائرية في 25 أكتوبر 1828 خرق الحصار الفرنسي مرة ثانية فلم تستطع ذلك. وقد أغرقت البحرية الفرنسية أربع سفن جزائرية في هذه المحاولة. وفي 29 جويلية ألقى الجزائريون القبض على طاقم سفينة فرنسية.

**طوفان البحرية الجزائرية**

**1 – في البحر المتوسط**

•Le Détroit de Gibraltar.
•Le Cap Molinero.
•Le Cap de Gat.
•Le cap Palos.
•Le Cap Saint-Martin.
•Le Cap saint-Sebastien.
•Le Cap Creuse.
•Majorque.
•Minorque.
•Le Cap Corse.
•Le cap Cassine.
•Les Iles de saint –Pierre.
•La Riviere de Genes.
•La Cote de Naples.

**2 – في المحيط ألاطلسي**

•Cadis.
•Lagos.
•Le cap Saint-vincent.
•Le Cap la roque.
•Le Cap Finistere.
•Les canaries.
•Madere.
•Les Açores

**3 – على ساحل الدولة الكنسية**

•La Sicile.

•Trapani.

•La mer Adriatique.[23]

## المراجع

1.A. M. Broadley, Tunis, Past and Present.

2.Allen, Gardner W. Our Navy and the Barbary Corsairs, Boston: Houghton, Mifflin, 1905.

3.Also R.G. Marsden, Law and Custom of the Sea, II.

4.American State Papers, Class I, Foreign Relations, Washington, D.C.: Gales and Seaton, 1832, I.

5.B. H. Sheffield (First Earl of), Observations on the Commerce of the American States.

6.C. Prentiss, life of the late General William Eaton.

7.Cathcart, Tripoli, First war with U. S.

8.Causes of the British Expedition to Algiers, in Edinburgh Annual Register for 1816. Vol. Ninth. Parts 1 and II. Edinburgh: printed by James Ballantyne and Co. London, 1820.Chapter .8. pp. 81-88. Appendix II. Gazettes. pp.CIXVII – CIXXIX.

9.Commander G. H. R. Erroli, R. N., Algiers: An Old Story Retold : The Illustrated Naval and Military Magazine, n.s. vol. IV, 1890.

10.D. Macpherson, Annals of Commerce, III, 1763.

11.Despatches of Algiers, III, R. O'Brien to Jefferson, June 8, 1786.

12.Despatches, Algiers, I, Barlow to Sec. of State, March 18, 1796.

13.Despatches, Algiers, III, O'Brien, April 28, 1787.

14.Despatches, Algiers, VI, O'Brien to Messrs. Sommeril and Brown, July 1, 1802.

15.Despatches, Algiers, VI, R. O'Brien to Wm. Smith, Jan. 10, 1801;

16.Despatches, Algiers, VII, G. Davis to T. Lear, Jan.28, 1804.

17. Despatches, Gibraltar, I, James Simpson to Sec. of State, Oct. 31, 1795.

18.E. Skjäldebrand to D. Humphreys, Nov. 13, 1793.(hereafter referred to as Am. State Papers., For.Rel.)

[23] « Anon » Histoire des Etats Barbaresques qui exercent la Piraterie, Par un Auteur qui y a résidé plusieurs années avec caractère public. Traduite de l'Anglais. Tome second. Paris, Herissant, Imprimeur rue N. Dame, M. DCC. LVII. P. 8.

19.Extract from a « Poem on the Happiness of America ,» by David Humphreys. Quoted in a Short History of Algiers (3d.ed., N. Y., 1805), p. 99.

20. G. A. Jackson, Algiers.

21.G. L. Beer, Old Colonial System, I.

22.H. G. Barnby, The Prisoners of Algiers, An Account of the forgotten American-Algerian War 1785-1797. London, Oxford University Press, New York –Toronto, 1966.

23.Henri Klein, Feuillets d'El-Djezair, , 2 vols , Alger, 1910, vol. I.

24.Hertslet, Collection of Treaties and Conventions, I

25.Houghton Mifflin, Our Navy and the Barbary Corsairs, Boston: Houghton Mifflin, 1905

26.J. Barlow, the Columbiad (London, 1809).

27.J. L. Cathcart, The Captives.

28.J. Sparks, Dipl. Corr. Rev., IV, p. 149, Franklin to R.R. Livingstone, July 25, 1783.

29. J. W. Stephens, Historical and Geographical Account of Algiers.

30. J.L. Cathcart, Tripoli, First War with the U.S.

31.James Wilson Stevens, An Historical and Geographical Account of Algiers; Copmrehending .A Novel and Interesting detail of events relative to the American Captives. Philadelphia, August, 1797. pp. 51-54.

32.Jefferson Papers, XIV, Jefferson to Wm. Carmicheal, Aug. 18, 1785.

33.Jefferson Papers, XIX, Randal to Jefferson, April 2, 1786.

34.John Foss, A Journal of the Captivity and Sufferings of John Foss; several years a prisoner at Algiers; together with some account of the treatment of Christian slaves when sick-and observations on the manners and customs of the Algerines. Newburyport: printed by Angier March Middle-Street. (1798?): 154, 96-101.

35. Lamb to Jefferson, May 20, 1786

36. Letters from Barbary, pp.96-97. Written by «An English Officer,» 1788;

37.Mathew Carey , A Short Account of Algiers Containing A Description of the Climate of the Country of the Manners and Customs of the Inhabitants …with a concise View of the Origin of the Ruptere between Algiers and the united states, Philadelphia, January 8, 1794.

38.Niles weekly register, Oct; 1816.

39.Paullin, Diplomatic Negotiations of American Naval Officers.

40.Paullin, Charles O. Diplomatic Negotiations of American Naval Officers,1778-1883, Baltimore: Johns Hopkins Press, 1912.

41. R. Greenhow, History and Present Condition of Tripoli.

42. R. V. Morris, A Defence of the Conduct of Commodore Morris.

43. Russell, History and present Condintion of the Barbary States.

44.S.Lane-Poole, Story of the Barbary Corsairs.

45.Shippen, E., The Barbarous Moors, United Service Journal.( Philadelphia), 1880.

46. Sir Robert L. Playfair, Scourge of Christendom.

47.Sparks, Dipl. Corr. Rev., IV, p. 149, Franklin to R.R. Livingstone, July 25, 1783.

48.The Diplomatic Correspondence of the United States, III, John Lamb to Jefferson, May 20, 1786.(hereafter referred to as U.S.Dipl. Corr.).

49.Todd,Charles B., Life and Letters of Joel Barlow, New York 1886, March 18, 1796;

50.Todd, Charles Burr. Life and Letters of Joel Barlow, New York: Putnam, 1886.

51.U.S. Dipl. Corr., II, p. 166, Adams to Jay, April 13, 1785.

52.U.S. Dipl. Corr., II, p. 282, Report of U.S. Treaty Commissioners to John Jay, March 18, 1785.

53.W. G. Constable, The British Fleet at Algiers, 1816, Bulletin of the museum of Fine Arts, Boston, February, 1943, vol. XLI N°. 243.

54.Wilson Garey, the First American Hostages in Moslem Nation, 1784-1789. American Neptune 41,n°. 3 (July 1981): 208-23.

55.Wm. Shaler, Sketches of Algiers, Boston: Cummings, Hilliard, 1826.